

4. المعتقدات الوثنية القديمة:

أولاً: المرحلة الطبيعية (Natural Religion)

تعكس هذه المرحلة ما يسميه علماء الأنثروبولوجيا بـ الدين الطبيعي أو الإحيائية (Animism) ، حيث يُنظر إلى عناصر الطبيعة بوصفها حاملة لقوة مقدسة.

تشمل أبرز مظاهرها:

- تقديس الحجارة
- تبجيل الجبال والكهوف
- عبادة الأشجار
- الممارسات العلاجية المرتبطة بالأماكن المقدسة

ويرتبط هذا التصور بنظرية الأنثروبولوجي البريطاني إدوارد تايلور الذي رأى أن الاعتقاد بوجود الأرواح في الأشياء يمثل أقدم أشكال الدين.

تقديس الحجارة والمزارات الشعبية





4

الحجر هنا لا يُعيد لذاته، بل باعتباره وعاءً للقوة المقدسة أو مسكنًا للأرواح، وهو ما يفسر استمرار هذه الممارسات في الثقافات الشعبية حتى اليوم عبر المزارات والتمايم.

قداسة الجبال والكهوف

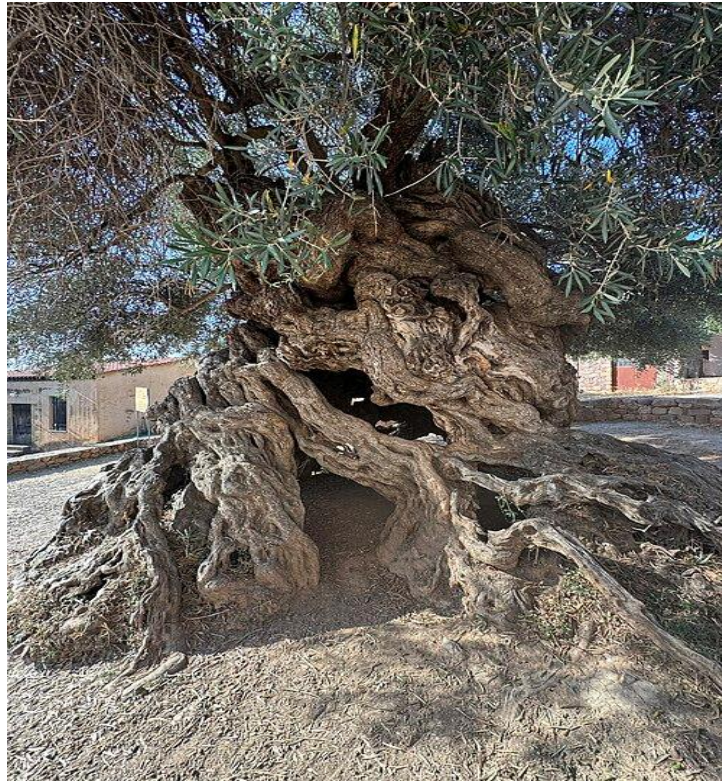




4

ترتبط الجبال رمزياً بالسماء، أي بعالم الآلهة، لذلك اعتُبرت أماكن قريبة من المقدس. هذا ينسجم مع مفهوم المركز الكوني عند الأنثروبولوجي ميرسيا إلياد الذي يرى أن الارتفاع الجغرافي يكتسب معنى دينياً.

عبادة الأشجار





4

تمثل الأشجار رمز الحياة والتجدد والخصوبة، ولهذا ارتبطت بألهة الإنبات مثل:

- تموز
- أتيس
- أدونيس

ثانيًا: المبدأ الطومني (Totemism)

الطومنية تمثل مرحلة متقدمة نسبيًا من التنظيم الديني، حيث يصبح الطوم:

- رمز الهوية الجماعية
- رابط القرابة الأسطوري
- مركز الطقوس الاجتماعية

ويرتبط هذا المفهوم أساسًا بأعمال عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم الذي اعتبر الطوم تجسيدًا رمزيًا للمجتمع نفسه.

أعمدة الطوم







4

في الطوطمية لا يُعبد الحيوان ذاته، بل القوة التي يمثلها، أي أن الطوطم هو علامة مادية لقوة غير مادية.

ثالثاً: الروح الكبرى (Great Spirit)

في المجتمعات الطوطمية المتطورة (خاصة في أمريكا الشمالية) ظهر تصور أكثر تجريدًا: قوة كونية شاملة غير مشخصة تحكم العالم.

من أمثلتها:

- مفهوم «واكان»
- مفهوم «مانتو»

وهذا يمثل انتقالاً من الدين المادي الرمزي إلى التجريد الميتافيزيقي.

رابعاً: المانا (Mana)

المانا مفهوم محوري في الأنثروبولوجيا الدينية، ويعني:

قوة خفية غير مشخصة يمكن أن تحل في الأشخاص أو الأشياء.

ويرتبط بالتابو (المحرم) لأن القوة المقدسة تحمل جانبًا خطراً.

وقد درس هذا المفهوم:

- الميشر كودرينغتون
- الأنثروبولوجي روبرت ماريت
- الأنثروبولوجي رالف لينتون

وهو قريب من مفاهيم:

- البركة
- الحظ
- القوة الحيوية

خلاصة أنثروبولوجية

يمكن فهم المراحل الأربع في إطار تطور الفكر الديني البدائي:

1. المرحلة الطبيعية → تقديس عناصر الطبيعة
2. الطوطمية → ربط المقدس بالهوية الجماعية
3. الروح الكبرى → تجريد القوة المقدسة
4. المانا → مفهوم الطاقة الكونية السارية

أي أن المسار العام هو الانتقال من المادي المحسوس إلى المجرد الشمولي.